(٢٠)

في السلام يولد
وفي السلام يموت
وبالسلام يبعث

حديث الجمعة

٢١ رجب ١٣٨١ هـ - ٢٩ ديسمبر ١٩٦١ م

أعوذ بالروح الأعظم، وأطمع في كرم الذات الأقدس، وأستعين بالأكبر الرحمن الرحيم. وأشهد أن لا إله إلا الله، به أطمع أن أشهد أن محمدا رسول الله، فأدخل به في رحمته وفي عبوديته.

عباد الله، على ما أسأل الله لي ولكم أن نكون له عبادا وخلق الله، على ما أعرف أني وأنكم أن الطريق إلى الله كما رسم رسل الله، وكما علم الله، وكما أبلغ الله على لسان أنبياء الله، حملوا نبأ الله بذواتهم، بأنفسهم، بعقولهم، بأرواحهم، بموقوتهم، بدائمهم، بقديمهم، بحاضرهم، بما تجدد لهم مُثلا للناس ارتضاها الله أن يكونها عباد من خلقه، ليكونوا عبادا له ممن خلق، عند من به تخلَّق، فجدد نفسه من فعله، وقام حقه بأمانة الحق معه، خلقه وما صنع فكان خلقا له، وحفظه بما رضي فكان حقا له، وأظهره بما شرف فكان وجها له، وكبَّره بما عرف فكان عالما له، فعرف به رب العالمين.

إن المعركة المشبوبة بين الخالق والخلق، بين الباطل والحق، بدءا من عالم الظلام بأرضكم، معركة مرادة، معركة اتسع لها حلم الخالق اتساعا بمغفرته لجفوة المخلوق، معركة اتسع لها علم العالِم بجهل الجاهل المبدوء، معركة مقدسة، خلق الإنسان فيها من نطفة فإذا هو خصيم مبين. فلمن خَاصم ومن الخِصم؟ إنه خاصم الأبوة الخالقة، وما خاصم اللانهاية المستغنية. خاصم الأقدس من ذاته، خاصم الأَقوم من جنسه، وما خاصم الأكبر من قدس الله. خاصم الخالق الذي خلقه وما خاصم من منه خلق خالقه. إن الخصومة إنما هي بين الفرع وأصله، بين البدء المبارك وما صدر عنه، بين آدم اصطفاه الله وأبناء آدم محل كرم الله، بين آدم وآدمه له، بين آدم وأوادمه منه.

أما مصدر الحياة، أما قانون الحياة فلا خصومة معه. ضرب بينهم بسور ظاهره من قبله العذاب وباطنه من قبله الرحمة. إنه مصدر الحياة يختبر الناس على ما هم عليه حتى يسلكوا بفعلهم، وبمشيئتهم، وبإرادتهم، سبيلهم إلى النار ليصلصلوا أوزار نفوسهم، أو سبيلهم إلى النور لأواني عقولهم به تشرق. هم بين النور والنار يتواجدون، بين نار الله مشعلة بين جوانحهم مطلعة على أفئدتهم، بل الإنسان على نفسه بصيرا، فيه ضمير لا يكذب، فيه حق لا ينحرف، فيه نار لله موقدة، وفيه نور يهديه سبيله، ويأخذ بيد الظلام وليله من غلاف نفسه. فالإنسان في تكوينه من الظلام بين يدي رحمة من النار والنور، يتقلب بين اليقظة والشعور، يأخذ الله بناصيته شاكرا وعاملا، يأخذه في طريق الشكر ليحمد ربه غنيا عن حمده، ويعرف ربه غنيا عن معرفته، ويأخذه في طريق العمل أن ليس له إلا ما سعى، وقد أعطي خلقه وهديه فيتخلق بأخلاق ربه، محمدا محمودا أحمدا، في نفسه، لنفسه، بنفسه، من نفسه، فيعرف من ليس كمثله شيء.. يعرف المتواجد في تجليه بصنعه، لا عن صاحبة ولا ولد.. يعرف ربه في نفسه، ويعرف اللانهائي في معراجه للرفيق الأعلى فالرفيق الأعلى إلى الرفيق الأعلى إلى ما لا نهاية له...

فيداني بذلك آدم وأوادم تواجده في نفسه، عن طريق بعث سبقه منهم بجديد لهم من خلاله ولدًا له، الأقرب فالأبعد، ليصلح آباؤه ويرتقون ويولدوا بجديد منه للتعارف بقديمهم إلى جديد أنفسهم، هو روح قدس لهم وحلقة وسطى بينهم، ويَفعَل به ويُفعَل به، فيداني قديمه بالآباء الوجود الظاهر المتجدد بالأبناء من خلاله المرة بعد المرة، في سلام يولد وفي سلام يموت، وبالسلام يبعث على جانبي الحياة، فيظهر في ظاهري الحياة بحاضر رسولا منه إليه، الكرة بعد الكرة، في فعل يصبح من صنعته، يقوم فيه ويدوم عليه بلا نهاية، فيحيا كتابا بنفسه، فرده وجمعه، بيته وأهله، قديمه وجديده، بحاضر له، يقرأه وينشره في العالمين، ويعلنه كتاب يمينه، عند عوالم تواجده من فعل يمينه، كلتا يديه يمين، ليس على الغيب بضنين، لمن طلب المعرفة منه، فقصده وجها لله، ويصاحبه طريقا لله، ويطرق بابه بابا لله، ومدينة لله، وعوالم حضرات لله، علام الغيوب، كلمة تمت لله، وأمة وسطا من الشهداء على الناس في جديدهم وجوه قديمهم رسلا من أنفسهم. شعب الكتاب ونور الأمم.

هذا الذي أقول وهذا الذي أُبين هو ما جاء به كتاب الله مع محمد، وما جاء به بيان الله في حديث محمد وفعله، ما نطق عن الهوى، وما تفكر في ذات الله وقد شاهدها وعرفها وقامها، فقد آمن ذات الله ذاته، وذات الناس، وذات الوجود مما حوله، ومما لم يدرك. عرف أنه أينما ولى فثم وجه الله في يومه وأمسه وغده، إذا نظر في نفسه وفي داخله، ما كذب فؤاده ما رأى، وإذا قَلَّب وجهه في السموات ما زاغ منه البصر وما طغى، وإذا نظر في الناس وفي أمر الناس وفي حكمة الله في الناس قرأ كتاب الله

له عن نفسه من الناس، كما قرأ في الوجود كتاب الله له عن نفسه من الوجود. فإذا انعكس بصره في بصيرته قرأ كتاب الله له عن نفسه، وكيف تشهد، وكيف تعرف، وكيف توصل، وكيف تشهر، وكيف تقوم، وكيف تتجدد، وكيف تتكاثر، وكيف تتناثر، وكيف تتوحد، وكيف دار الزمان بها على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض.

لم يعرف محمد عبد الله ورسوله عن الله ورسوله إليه، إلا ما عرف في نفسه عن نفسه منهما. عرف أن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان لأنه عرف أن الله قد ظهر به، وهو ما زال في وصفه من معنى الإنسان، وجها له وحقا منه بعثا بالحق وموتا عن وصف الخلق.

ما عرف محمد من الله حقا متصلا إلا ما قام به فكان به حقا. فأمر أن يقول قد جاء الحق لنفسه، قبل أن يقولها إلى الناس. عرف أنه عين رسول الله إليه، من الإنسان من الروح، فطالب لنفسه وقد شهدت أن تشهد أن محمدا رسول الله بيقين لها مستقر عندها، قبل أن يقول للناس ها أنذا رسول الله بينكم. قال له رسول الله إليه ما أمنت مكر الله إلا بمصاحبتك يا رحمة الله، فقال له ما رُحمت من الله إلا بك أنت يا رحمة الله لي، ويا رسول الله إليَّ، فإني لست غيرك يا أخي ولست إلا أنت، وما عرفت لي إلا معناك فأنت لست غيري، وستبقى لقومي يدعون بدعوتي على ما أنت لي تجمعهم علي، أما قيامي ببشريتي بين الناس وهو سابق وقائم قيامك فقد كان منه قلقك كما يقوم منه قلقي، حكمة من الله ورحمة، فقد كنت كما أنت قبل وجودي كما أنا فشعرتني قبل شهودي، وها أنا وإياك نبعث، ها أنا رسول الله بين الناس، وها أنت أخي ورسول الله لي، فإن كان في الأرض وجودي وفي السماء مجالي، ففي السماء وجودك وفي الأرض مجالك. فإن كنت لي رسولا بوجودك، فأنا بوجودي رسول إليك في مجالك، فالأمر منك وإليك كما علمته بك مني وإلي.

إن الذي جاء به محمد، قولا أو فعلا أو بلاغا عن الله فيه الغنية للناس عن كل ما سواه، لو صَدق الناس أنفسهم، ولو قوم الناس أمورهم، ولو جمع الناس أمرهم على أمره، وجمعوا كتبهم على كتابه، فعرفوا كيف أصلح هو نفسه بنفسه بما فيه من عقله وإدراكه وحسه، فما دانته هداية الله مسفرة، إلا تتم له ما بدأ هو بنفسه من نفسه، بما أعطاه الله من قدرة ومن إدراك، ومن بصيرة، ومن هدي، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

إن الله الذي أسعف محمدا بالروح لتتحقق له ما أشرفت إليه نفسه وما أدركه عنها بحسه. ما منع الناس أن يسعفهم بالروح ما كانوا فيما كان، وهو الذي هدى الناس ابدأ بنفسك يا صاحبي ثم بمن تعول، ولأن يهديك الله فيهدي بك رجلا واحدا كان لك ذلك خيرا من الدنيا وما فيها، وكنت بك أو كنت بي رسول الله، وكنت بذلك أمة لله.

إن يهديك الله فيهدي بك رجلا واحدا، فإن في ذلك نواة الحياة. خلقكم أزواجا وكان لكما ظاهر الحياة وباطن الحياة، كنتما الظاهر والباطن لله، الله من ورائكما محيط، الله من وراء الداعي إليه محيط برحمته، والله من وراء المدعو إليه المجيب محيط برحمته بتزاوجهما بقيامهما مثنى في الله وواحدا فيه، يداني أحدهما الداني للناس منهما ويعلو المتداني منهما بجديد لهما في رضائهما ومحبتهما، وما تدانى الداني من علوه للحاضر من أخيه إلا لأن الله لا اتجاه له. إن الله ليس عاليا على عالمك يخشى أن تعلوه بهمتك، وإن الله ليس دون عالمك ويخشى أن تذهب إلى ما دونه من بعده. إن الله قريب منك، وهو المتواجد بك لا خصومة بينك وبينه، ولا عداء بينك وبينه، ولا حساب بينك وبينه، ولا عقاب بينك وبينه، إنما الحساب والعقاب، والوهب والجزاء، والمنع والعطاء إنما هو منك لك، بما هو فيك منه، في ظل نفاذ قوانين إرادته لا تخطيء، ولا تكسر، ولا تغلب، ولا تخفى. لا تنفعه طاعة وكم حذر، ولا تضره معصية وكم عفا وبشر. غلبت رحمته مُشهرَة، وقيام قدرته لا يجحد ولا ينكر ولا يقاوم. إن الإيمان به هو في الإيمان بك منه، وإن التوحيد له هو في الإنكار على عزلتك عنه والإنكار عن عزلتك عنه لنفسك عندك، والشرك به هو في قيامك مستقلا عنه. فلا تقم نفسك إلها مع الإله باستقلالك عنه، ولا ربا على الناس بوجهه لك دون وجهه فيهم، ولا تعلو بعبوديتك له فوق عباده ممن تشهد. عليك نفسك فقومها، وعليك أمرك لا تفرط فيه ولا تفرطه، فإن كان لك منه الهدى وأدركت منه باليقين، فأحب لأخيك في البشرية ما تحب لنفسك، حتى يكمل به إيمانك ويتزايد به فيك حسك، ما من مقام إلا وعند الله أكبر منه، وما من قرب إلا وفي الله أقرب منه، وما من رشاد إلا وعند الله أكمل منه، عطاءً غير مجذوذ، وأجرا غير منقوص، ونموا غير موقوف، لا يحصره حد بوجوده، لا ينقطع له تواجد في الموجود، أكبر وأكبر، والله أكبر، والله أكبر.

إن الإصلاح إنما هو في أن تصلح نفسك. المسلم من سلم الناس من يده ولسانه. لا تفسد أرض نفسك باسم الإصلاح، ولا تصلح أرض غيرك باسم الأمر بالمعروف لم تعرفه، هل شهدت الله؟ هل عرفت الله؟ هل خلَّفك الله؟ إنه مستخلفك على أرضك وعلى نفسك وبيتك، فهل أحسنت خلافته على عالمك من نفسك حتى تقوم على عوالمه في غيرك؟

إن نهاية الفساد أن تكون فاسدا فلا ترى فساد نفسك، ونهاية الفتنة أن تراك في فسادك صالحا، فتنشر ما في نفسك من فساد باسم الإصلاح لغيرك. إن الشقي من شقي بنفسه، والأشقى من قام على الغير بشقائه. كيف يَرحم من لم يُرحم؟ وكيف توجد الرحمة عند من يفتقد الرحمة؟ إن الرحمة بمن في الأرض، تستجلب الرحمة ممن في السماء. ومن لم يرحم نفسه، كيف يرحم غيره؟ ومن لم يعرف ربه في الناس على ما هو به، كيف يهدي إلى الرب في النفس عند من يطلب ربه؟

عباد الله.. اتقوا الله في أنفسكم، في اتقائكم الله في الناس، لا تجعلوا من أنفسكم مثلا عليا لغيركم، ولكن انشدوا في الناس مثلهم مثلا لكم، فيما تشهدون فيهم، مما ترون بهم، بما تدركون وتبصرون بمقاييس الحق. من عرف الحق عرف أهله. اطلبوا متابعتَهم فيما تشهدون من حسن الخلق، وتنكبوا بأنفسكم ما تشهدون في الناس من سوء الخلق فالعاقل من اتعظ بغيره، واحمدوا الله أن منع ما ترون عن أنفسكم.. اجعلوا من وجوه الناس لكم - من حسنت أخلاقهم - وجه الله إليكم، ورسول الله عندكم، فإذا كنتم تفتقدونه في هذا المجتمع المضطرب اليوم فردا فإنكم لن تفتقدوه في الناس غدا. وإذا كنتم قد جهلتموه أنه في الناس عدا، فلا أقل من أن تطلبوه بين الناس في المثل من حسني الخلق فردا. اعتقدوه فردا وجمعا، واطلبوه فردا وجمعا، فإنكم إن فعلتم لن تفتقدوه فردا وجمعا. وقد تكفل لكم الله إذا ما جاهدتم فيه أن يهديكم السبيل القائم بقيامه والدائم بدوامه. لقد جاءكم كتاب الله وبلاغه بهذا الوعد وهذا الهدي، يهدي به من اتقى، ويُضل به من بغى وطغى.

إن الناس في هذه الدار من عوالم الظلام بين النار والنور. يبدأون بأنفسهم شقاءهم أو سعادتهم، فريق للجنة وفريق للسعير. كان على رب رسول الرحمة حتما مقضيا في قانون الوجود. لا النار تأكل الحق، ولا النور يُطغِي الصدق. ولكن الذي يأكل الناس إنما هو الظلام. إن الذي يطغى الناس إنما هو الظلام، إنما هو ظلام تواجدهم وظلام وجودهم حجابا على ما جعل الله لهم، في باطن الظلام، من كنوزه، من رحمته، من عنايته، من نوره وناره، من كتابه وهديه، من خلقه وحقه، من ظاهره وباطنه. هم في أغلفة الظلام عالم ما قبل الحياة في رحم عالم تواجدهم، يولدون بالحياة بعملهم ما طلبوا الله ليتواجدوه إليه المصير. إن السير إلى الله إنما هو تواجد الكائن بالله، تواجدا لله، جديد القديم، جدَّ لا عن صاحبة ولا ولد.

إن الذي أُنزل على محمد، وهو الحق من الله، وهو الحق من ربه، كان به محمد جديدا لقديم، جديدا للحق القديم، ما اتخذ الله به وبإنزاله لنفسه معاني البشر من الصاحبة والولد، ولكنه جدد كائنه المخلوق بموته عنه وبعثه به إلى وصف الحق الخالق بالإنسان، فجعله يد فعله ويد رحمته، الأرض جميعا قبضته في قيامه، زويت له الأرض. الذين يبايعونه على أنفسهم مسلمين له إنما يبايعون الله. الذين يضعون أيديهم في يده، إنما يضعون أيديهم في يد الله، ويد الله فوق أيديهم. إن يد الله خَلَقَ بها السموات يوما، وإنه بها للسموات لموسع. إن يد الله خلق بها الأرض يوما، وإنه بها لجديد من الأرض لخالق، لا ينقطع فعل يده، وما يده إلا الإنسان، يوم يصبح به فيه إنسانا، فيعنونه ويظهره، فيظهر الله به وجه طلعته ويدَ رحمته وقانون قدرته.

هذا ما يجب أن يكون عن الفهم في الدين، وما يكون إليه الطلب بالسير في طريق، أو بالقيام في هدى، أو بطلب للحق مع رفيق. هذا مما جاء به الكتاب ومما جاء به محمد، وهذا قائم في الناس كتابا لله، وكتابا لأنفسهم بمحمد الله، فيمن حُمدت خلقه بينهم فتوبع منهم.

إن الله معنا، وإن الله جامعنا، وإن الله فارقنا، وإن الله مجيبنا، وإن الله مهلكنا، وما الحياة إلا بمن هو معنا، نحياه ونسمعه على ما يحيانا ويسمعنا. في وحدانيته دليلنا وسبيلنا، وماضينا وقائمنا ومستقبلنا.

هذا جاءنا به الكتاب، كما سبقت به الفطرة، وقام به الكتاب، كما تقوم به الفطرة. فهلا استيقظت عقولنا فأفاقت من نومها نفوسنا، فحييت به من مواتها قلوبنا، فانتشر النور نبعا من قلوبنا في عالم قوالبنا، فعرفنانا عوالم الله، وعرفنانا في رسولنا ورب عوالمنا، وعرفنانا به في اللانهائي، ربه هو له عبد، وهو لنا به رب، ونحن معه في وحدانيته، على ما هو في وحدانيته مع ربه، نسير في طريق الهدى وفي طريق الرشاد، فندخل في حصن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله، بقيام باسم الله الرحمن الرحيم له ولأمته من الله جئنا، وبالله نكون، وفي الله نعمل، وبالله نقوم؟

اللهم وحدنا مع من توحد مع ربه. اللهم وحدنا فيك عبدا واحدا لك، بمحبتك متحابين في النجوى عنك في سرنا وجهرنا. اللهم اغفر لنا ما تقدم، واغفر لنا ما قام، واغفر لنا ما تأخر من ذنوبنا بغفلتنا، وقوم فيك طريقنا من ماضينا بحاضرنا في مستقبلنا.

اللهم خذ بنواصينا إلى الخير على ما وعدت وعلى ما ذكرت وبشرت.

اللهم جنبنا طريق الضياع والضُر والهلاك. اللهم كن لنا في الصغير والكبير مما جعلت لنا، ولا تجعل لنا من هوى أنفسنا ومن أغيارنا نصيبا يضلنا عنك، إلا ما قدرت بحكمتك لهدايتنا، ويقظتنا، وتعريفنا، وتعليمنا، وتوجيهنا.

اللهم إنا آمنا بك واحدا لا شريك لك، في وجودك وفي سرمديك، وفي أزليك وأبديك، وآمنا أن من أبرزت منا رسولا من أنفسنا هو عبد لك ورب لنا من رحمتك، أولى بنا من أنفسنا. أنت ربه وأنت مشهوده وشاهده، آمنا به ليكون لنا نورنا وحياتنا، فنكون فيه بك فناءً فيه عنا لنبقى به لك، مبعوثين منه باسمك كلمات لك، قائمين فيه لوجهك، نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله فيستقيم طريقنا في الدهر، ويقوم بنا العصر، وتحيا عوالمنا بذكرك، ونبعث في الناس بكلماتك. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

(لقد تعلمت منذ زمن بعيد أنه (سوف يقودهم طفل صغير)، ولن تتقدموا في عالمكم أو عالمنا قبل أن تتعلموا كيف تقذفون في اليم بالحكمة الجوفاء عن جهلاء سبقكم، وترجعوا إلى براءة الطفل وهي لكم في مولدكم على الفطرة. إن حاضر عالمكم يميز بين الذين لونت جلودهم شمس الروح الأعظم. إنهم ينظرون لجلودهم، وينسون أن أرواحهم جميعا واحدة، وأنهم جميعا من الروح الأعظم، وإليه يعودون، وفيه يسيحون.

هل من الحكمة إذا عاد إلى الأرض مبعوثين بالمعرفة من كانوا عليها ذوي جلود ملونة عملوا في براءة الطفل، يحملون مشاعل الحق والحياة والإصلاح أن يقول لهم أبناؤها فليغرقنا الطوفان إذا لم يساعدنا أناس من ذوي الجلد الأبيض؟

نحن نسعى لتعليمكم بما تعلمناه في ممالك الروح، كما نسعى لتشرب كل معرفة تعطونها لنا. إن السماء الجديدة سوف تأتي في عالمكم خلال قانون المساهمة هذا. فإن فيما اكتشفتموه في مدنيتكم، غير القليل مما يعنينا وفيما نأتي به، الكثير مما كان عندكم وتركتموه فأصبح مجهولا، وها نحن نأتي به أضعافا مضاعفة هذه المرة وبعزيمة البقاء به فيكم).

عن الروح المرشد السيد (سلفربرش)